

التمثلات الاجتماعية : مقارنة لدراسة السلوك والمواقف والاتجاهات وفهم آليات الهوية.
كوثر السويسي⁷

ملخص

تتميز نظرية التمثلات الاجتماعية، الفرنسية الأصل، في الوقت الحالي عن كل نظريات علم النفس الاجتماعي لنجاحها في فهم كل مستويات السلوك الإنساني، وبخاصة في مظاهره المعرفية والوجدانية، وأيضاً بالنظر إلى ارتباطها الوثيق بالوعي الجمعي. لذلك، فهي يمكن أن تكون أداة ناجعة لدراسة العديد من القضايا المعقدة التي تعاني منها مجتمعاتنا في العالم العربي الإسلامي، وبخاصة فيما يتعلق بالمواقف والاتجاهات والصراعات بين الجماعات. غير أن هذه النظرية تحتاج إلى التعريب والتعريف حتى تكون في متناول الباحث العربي. لهذا، نسعى في هذا المقال إلى تقديم هذه النظرية بدءاً بمفهوم "التمثلات" و"التمثلات الاجتماعية"، كما سنستعرض سيرورة نشأة نظرية التمثلات الاجتماعية، وستحدث عن مؤسسها والمواضيع التي تتناولها، ومجالات استعمالها، وعلاقتها بسيرورات ودينامية الهوية.

الكلمات المفتاحية: التمثلات الاجتماعية؛ المعتقدات؛ المواقف؛ الصراعات بين الجماعات؛ الدينامية الهوياتية.

Social representations: An approach to study behavior, attitudes, tendencies, and to understand the mechanisms of identity.

Kaouther Souissi

Abstract

The French theory of social representations stands out from all other theories of social psychology, first of all for its efficiency and brevity in the analysis and explanation of all levels of human behaviors, in particular its cognitive and emotional aspects, and also for its close connection to the collective

⁷ مركز البحوث والدراسات في حوار الحضارات والأديان المقارنة، جامعة تونس، تونس.

unconscious. So, it can be used efficiently to study complex phenomena that afflict our Arab-Muslim societies, especially with regard to attitudes, beliefs and inter-group conflicts. But it seems important to translate this theory and make it known to Arab researchers. In this article, we expose this theory, beginning with a definition of the two basic concepts "representations" and "social representations", then we explain how this theory was born, who founded it, what are its objects of study and its applications and how it relates to processes and dynamics of identity.

Keywords: Social representations; Beliefs; Attitudes; Inter-group conflicts; Identity dynamics.

مقدمة

من منا لا يمثّل العالم الذي يحيط به في شكل صور ذهنية؟ العقل البشري كَوْنٌ ِعَمَلًا مَسْكُونٌ بِشَتَى أَنْوَاعِ الصُّورِ والإِدْرَاكَاتِ، تَنَمُّثُهَا فِي أَذْهَانِنَا كَلِمًا أَرْدْنَا تَحَاوِرَ مَعَ الْآخِرِ وَفَهَمَ أَنْفُسِنَا. تَمَكَّنْنَا هَذِهِ الإِدْرَاكَاتِ مِنَ التَّكْيِيفِ مَعَ بَيْنَتِنَا الإِجْتِمَاعِيَّةِ وَفَكَ رُؤُوسَهَا وَتَعْقِيدَاتِهَا بِأَقْلَ مُحَمَّدٍ عَقْلِيٍّ وَفِي فِتْرَةٍ زَمْنِيَّةٍ وَجَبْرَةٍ، وَلِأَجْلِ ذَلِكَ كَمَا تَقُولُ (Jodelet، 1989) "نَحْنُ نَصْنَعُ التَّمَثُّلَاتِ".

لِلتَّمَثُّلَاتِ (representations) بُعْدَيْنِ؛ الأَوَّلُ نَفْسِيٌّ وَالثَّانِي إِجْتِمَاعِيٌّ وَلِكُونِهَا "تَمَكُّونُ جِزَاءً كَبِيرًا مِنْ عَالَمِنَا الدَّاخِلِيِّ" (Palmanori و Doise، 1986، ص 14)⁸، فَإِنَّمَا نَلْجَأُ إِلَيْهَا بِشَكْلِ دَائِمٍ، لِكَيْ نُبْهِجِنَا فِي لِحْظَاتِ الرَّاحَةِ وَالْحُلْمِ، وَنُؤَيِّسُنَا عِنْدَ الْوَحْدَةِ وَالْقَلْقِ. أَمَّا فِي أَوْقَاتِ النِّشَاطِ وَالتَّفَاعُلِ مَعَ الْآخَرِينَ، فَإِنَّهَا تُرْشِدُنَا إِلَى "مَا يَجِبُ فِعْلُهُ" لِأَنَّهَا تَلْمِزُنَا بِالتَّقْيِيدِ بِالمَعَايِرِ الإِجْتِمَاعِيَّةِ وَالسِّيَاقِ الثَّقَافِيِّ الَّذِي نَوْجِدُ فِيهِ. أَكَّدَ Zajde (1995)، مِنْ خِلَالِ مُمَاحَظَاتِهِ عَلَى صَحَافِيَا مُعْتَشِكِرَاتِ الإِبَادَةِ النَّازِيَّةِ، عَلَى حَاجَتِنَا لِلتَّمَثُّلَاتِ لِتَحْقِيقِ حَيَاةٍ نَفْسِيَّةٍ سَلِيمَةٍ. يَقُولُ "إِذَا أَرْدْنَا زَعْرَةَ شَخْصٍ وَإِضْعَافَ قُدْرَاتِهِ العَقْلِيَّةِ إِلَى أَعْلَى دَرَجَةٍ، عَلَيْنَا فَحْطَ إِزَالَةِ عَمَلِيَّةِ التَّمَثُّلِ وَالتَّفَكُّرِ لَدَيْهِ، وَذَلِكَ بَعْزَلُهُ عَنِ العَالَمِ الخَارِجِيِّ حَتَّى يَعْجِزَ عَنِ فَهْمِ وَتَأْوِيلِ مَا يَحْدُثُ لَهُ (Mannoni، 1998، ص 18). كَمَا يَبَيِّنُ Botella وَآخَرُونَ (1983) أَنَّ الخَطَرَ الحَقِيقِيَّ لَا يَكْمُنُ فِي انْعِدَامِ مَوْضُوعِ التَّمَثُّلِ (بَسَبَبِ العِزْلِ عَنِ العَالَمِ الخَارِجِيِّ) وَلَكِنْ فِي انْعِدَامِ عَمَلِيَّةِ التَّمَثُّلِ فِي حَيَاتِنَا، إِذْ بَانْعِدَامِهَا يَحْدُثُ تَوَثُّرٌ كَبِيرٌ لَدَى الفَرْدِ يَنْتَهِي بِصُدْمَةٍ نَفْسِيَّةٍ.

وَبِالتَّالِيِ، فَإِنَّ تَمَثُّلَ العَالَمِ الَّذِي يَحِيطُ بِنَا فِي شَكْلِ صُورٍ ذَهْنِيَّةٍ هُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ نَتَمَتَّعَ بِصِحَّةٍ نَفْسِيَّةٍ جَيِّدَةٍ، أَكَّدَتِ هَذِهِ الحَقِيقَةُ المَدْرَسَةُ التَّحْلِيلِيَّةُ إِذْ يَبَيِّنُ فِرُودِ وَكَلَايْنِ (Freud و Klein، 1971) أَنَّ التَّمَثُّلَ يَحْتَوِي عَلَى خَاصِيَّةٍ مِغْنَاطِيْسِيَّةٍ تَعْمَلُ عَلَى جَذْبِ المَحْتَوَايَاتِ العَقْلِيَّةِ (...) وَشَدَّهَا إِلَى بَعْضِهَا البَعْضُ لِتَخْلُقَ مِنْهَا بَعْدَ ذَلِكَ صُورًا ذَهْنِيَّةً يَحْتَفِظُ بِهَا الفَرْدُ فِي ذَاكِرَتِهِ لِأَنَّهُ يَعتَبِرُهَا جِزَاءً مِنْ مَاضِيِهِ الحَقِيقِيِّ وَحَيَاتِهِ الخَاصَّةِ. فِي صُوءِ هَذِهِ المَعْطِيَّاتِ تَبَلُّوَرَتْ نَظَرِيَّةُ التَّمَثُّلَاتِ الإِجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا

⁸ وليام دواز William Doise عالم وأستاذ باحث في علم النفس الاجتماعي، بجامعة جنيف، عرف بدراساته حول العلاقات بين الجماعات والتمثيلات الاجتماعية.

موسكوفيتشي⁹ في أوائل الستينات ليؤكد على أهمية البعدين، النفسي والاجتماعي، لدراسة كل مظاهر التفكير والسلوك الإنساني دراسة علمية وموضوعية لأن "حياتنا العقلية اجتماعية بطبعها" كما يقول موسكوفيتشي (Moscovici, 1961).

1- نظرية التمثلات الاجتماعية

أول من استخدم عبارة التمثلات الاجتماعية هو العالم الفرنسي موسكوفيتشي (Moscovici, 1961) في أطروحة الدكتوراه التي تناول فيها دراسة تمثلات التحليل النفسي (représentations de la psychanalyse) لدى مجموعة كبيرة من الفرنسيين. ردًا على طرح دركهايم السوسيولوجي، يعتبر موسكوفيتشي أن التمثلات ليست فقط جمعية (collectives) تتكون عبر الأجيال وغير قابلة للتغير بل وأيضاً اجتماعية (sociales) قابلة للمراجعة والتجديد والرسكلة وإعادة البناء من طرف المجموعات التي تكوّن المجتمع الواحد لثبوت ذلك "معارف الحس العام" (savoir de sens commun) أو "التفكير الاجتماعي" حسب عبارة Guimelli (1999)، يتكوّن الحس العام، كما بين موسكوفيتشي، من "نسق من القيم والمفاهيم والسلوكيات المرتبطة بسات ومواضيع يحدد معالمها الوسط الاجتماعي تمكن من استقرار حياة الأفراد والجماعات ومن توجيه وصياغة السلوكات وردود الفعل المناسبة"، وهي أيضاً "وسائط بين الشخص والوضعية المتواجد فيها". فالتمثلات الاجتماعية تتغير وتختلف في معناها ومحتواها بحسب اللغة والسياق الثقافي والإيديولوجي وبحسب اهتمامات وعلاقات التواصل والتخاطب بين أفراد المجموعة. مثلاً "إذا أبدى الفرد أو المجموعة رأياً يتعلّق بموضوع ما (مادي أو اجتماعي: فكرة، شيء أو شخص)، فإن هذا الرأي هو بطريقة ما جزء من تكوينه، لأنه يحدّد ماهية هذا الموضوع (Moscovici, 1994، ص.12). وبما أن التحليل النفسي هو محلّ جدل فكري في الصحافة الفرنسية، ولأن للصحافة قراء متعدّدين ومختلفين نشأت تمثلات اجتماعية ووجهات نظر مختلفة لدى الفرنسيين إزاء هذا الموضوع تتوافق مع ثقافة وإيديولوجية كل فئة اجتماعية ونوعية

⁹ سارج موسكوفيتشي 1925-2014 عالم فرنسي من أصل روماني مؤسس نظرية التمثلات الاجتماعية 1961 أتى بها لنقد وتطوير مصطلح التمثلات الاجتماعية الذي تحدث عنه دوركهايم. شغل لسنوات عديدة مدير المختبر الأوروبي لعلم النفس الاجتماعي.

المعلومات التي تستقيها من الصحافة. اعتمد موسكوفيتشي على تحليل خطابات الصحافة المكتوبة والمسموعة بشأن هذا الموضوع وعلى سبر آراء مجموعات كبيرة من الفرنسيين رجالا ونساء، سياسيين ومدنيين كاتوليك وغيرهم وذلك بالتعرف أولا على نوعية المعلومات التي تنشرها الصحافة بخصوص التحليل النفسي، ثم ثانيا بتحديد اتجاهات الفرنسيين المؤيدة والغير مؤيدة للتحليل النفسي. أظهرت نتائج الدراسة رفضا كليا للتحليل النفسي من طرف المتدينين الكاتوليك، بينما أدان اليساريون بشدة نظرية التحليل النفسي متهمين إياها بزلوعها في تقوية الصراع بين الطبقات والحرب الباردة. انطلق موسكوفيتشي من فرضيات ثلاث ليفسّر كيف يختلف أفراد المجتمع الواحد في تمثيلاتهم لموضوع ما، تتعلق الفرضية الأولى بانتشار المعلومة بين أفراد المجتمع حول موضوع التمثل بحيث يصعب فرزها وتمييزها عن المعتقدات والمعارف السابقة، أما الفرضية الثانية فتتعلق بالاهتمام الذي يوليه أفراد مجموعة معينة لجانب من موضوع التمثل، في حين تتعلق الفرضية الثالثة بتطوير المعلومات المستقاة تحت "ضغط البحث عن دلالة" (la pression de l'inférence)، كما يعبر عن ذلك موسكوفيتشي، كل حسب ثقافته واهتمامه، لثلاثي النقص في المعلومات التي سببتها عمليات التواصل الاجتماعي عند توقع كل هذه الظروف تتكوّن معارف ساذجة (savoir naïf) مختلفة لدى فئات المجتمع الواحد، هذه المعارف مختلفة تماما عن معارف الخبراء (savoir des experts) صناع المعرفة الأولى إذن يرجع هذا الاختلاف إلى المستوى الفكري للأفراد وإلى مدى مساهمتهم للنسق الاجتماعي والثقافي الذي هم فيه وإلى انتباههم الأيديولوجي. مكّنت نتائج دراسة موسكوفيتشي في الأخير من تأسيس مقارنة علمية أطلق عليها اسم "نظرية التمثيلات الاجتماعية" يعتمدها اليوم جل الباحثين في علم النفس الاجتماعي لدراسة سلوكيات الأفراد ومواقفهم واتجاهاتهم إزاء مواضيع عدة مثل "المال (Vergès, 1994)" "الأصدقاء المثاليون" (Moliner, 1992) "قيم العمل" (Flament, 1996)، "الجنون" (Jodelet, 1989)، "المستين" (Vidal, 2004)، "العجبر" (Guimelli و Deschamps, 2000)، "الإسلام والمسلمون" ¹⁰ (Souissi, 2013)، "الأقليات الدينية" (Guerraoui, 2008)، "تقنيات الاتصال

¹⁰ رسالة الدكتوراه (2013) أعدت تحت اشراف البروفيسور موليني وهي الآن تحت النشر.

الحديثة" ¹¹ (Souissi، 2006) وغيرها من المواضيع الأخرى في نسق ثقافي غربي وعربي.

إثر موسكوفيتشي، درس الباحثون التمثلات الاجتماعية، كلّ بحسب زاوية النظر التي اتخذها. ركّز (Doise، 1990) اهتمامه على الإطار العام الذي تنشأ فيه التمثلات، أيّ المجتمع ككلّ أين تتفاعل المجموعات والفئات الاجتماعية مع بعضها البعض حول موضوع التمثّل، بين أيضاً أن التمثلات المختلفة التي تنتشر في المجتمع الواحد هي وليدة التعارض أو التوافق في المصالح إزاء موضوع التمثّل وحتى التقارب السوسولوجي بين المجموعات. مثلاً، في مجموعات فرعية نوعية من كلا الجنسين أو مجموعات اجتماعية واقتصادية أو مهنية تتفاعل الأفراد باستمرار حول موضوع التمثّل. واطلاقاً من هذه التفاعلات وحسب منطوق المصلحة والقيم والمعايير الاجتماعية لكل مجموعة يتحدد معنى الصورة الذهنية أيّ التمثّل الاجتماعي. أما مدرسة Aix-en-Provence الفرنسية التي من أشهر أعلامها ¹² Abric (1976، 1987)، Flament (1987، 1989) ¹³ Moliner (1988)، Vergès (1992)، Rouquette (1998) فإنّها عكفت على دراسة البنية الداخلية للتمثلات الاجتماعية ووجهها التوافقي المتناسق (consensus). بينما درست Jodelet (1989) عملية التمثّل في علاقتها بالكلام والتواصل بين الأفراد والمجموعات، كما قام حديثا Deschamps و Guimelli (2002)، و Rimé (2009) بدراسة الجانب العاطفي والبعد الوجداني (Deschamps و Moliner، 2008).

وأخيراً نعرض إلى بعض التعريفات التي اتفق عليها أكثر الباحثون في التمثلات الاجتماعية حيث يعرف (Abric) التمثّل الاجتماعي بأنّه "مجموعة منظمّة من المعلومات

¹¹ أطروحة الماجستير لم تنشر.

¹² جان كلود أبريك (Jean Claude Abric) عالم و أستاذ باحث، فرنسي الأصل متخصص في علم النفس الاجتماعي، عمل بجامعة أكس أن بروفانس بجنوب فرنسا، عُرف بدارساته التحليلية و تجاربه حول بنية التمثلات الاجتماعية، وتوصل هو وصديقه فلانمن (Claude Flament) إلى تأسيس نظرية النواة Central Core theory 1976-1994. توفي أبريك سنة 2012.

¹³ باسكال موليني Pascal Moliner عالم فرنسي أستاذ باحث في علم النفس الاجتماعي تلميذ أبريك يعمل حالياً بجامعة بول فاليري- مونتبلي بفرنسا أعماله ساهمت في فهم بنية التمثلات الاجتماعية، عُرف باستبيان لائحة التساؤلات ACT 1998 Attribute Challenge Technique.

والمواقف والمعتقدات والاتجاهات حول موضوع ما. أُنتِجت وبلُورت اجتماعياً، تحمل كلّ قيم النظام الاجتماعي والأيدولوجي وتاريخ المجموعة التي تنبأها والتي تمثل جزءاً أساسياً من رؤيتها للعالم" (2003، ص 59). يوضح Flament (1987) أنّ التمثيل (representation) هو "مجموعة منظمة من الإدراكات"، منظمة بطريقة تفاضلية تبدأ بالمهم إلى الأقل أهمية، تضيف Jodelet (1989، ص 36) أنّ هذه الإدراكات هي عبارة عن "عناصر غنيّة بالمعلومات، المعارف، والأيدولوجيات، والمعتقدات والمعايير والقيم والمواقف والآراء والصور" مختلفة ومتباينة بحيث يصعب فصل الجانب الوجداني عن الجانب المعرفي (Grize وآخرون، 1987).

2- البنية الداخلية للتمثيلات الاجتماعية

توصّل Abric بعد عدّة تجارب إلى أنّ عناصر التمثيلات الاجتماعية المتكوّنة من المعارف والمعتقدات والاتجاهات موزّعة بطريقة منضّمة وتفاضلية في أذهاننا، تماماً كما حركة الكواكب حول الشمس، العناصر الأقل أهمية محورية منجذبة إلى عناصر مركزية نواتية ذات أهمية عالية لأنها مؤيدة ومشتركة بين كل أفراد المجموعة. فالعناصر المركزية هي التي تحفظ معنى واستقرار التمثيل الاجتماعي، في حين تعمل العناصر المحورية الطرفية على فكّ رموز العناصر النواتية وترجمتها على أرض الواقع، بعد تكيفها مع متغيّرات السياق الاجتماعي الذي يعيش فيه الأفراد الذين صنعوا التمثيل، هذه العناصر المحورية تعمل أيضاً على الدّفاع على العناصر المركزية التواتية للمحافظة على دوامها.

بما أنّ نشأة التمثيلات الاجتماعية لا تكون إلاّ عن طريق التفاعلات الاجتماعية وعمليات التخاطب والتواصل وبما أنّ الهويّة لا تتجلى إلاّ في الخطاب وعمليات التواصل تُصبح التمثيلات المورد الأساسي الذي تعتمد عليه المجموعة لشحن المعالم المركزية لهويّتها وتحديد معالمها المخورية المتغيرة.

3- العلاقة بين التمثيلات الاجتماعية والهويّة

تمّ التأكيد منذ موسكوفيتشي (Moscovici، 1961) على العلاقة المتلازمة بين التمثيلات الاجتماعية (représentation) وآليات الهويّة (mécanismes identitaires) ومن بعده، نهجت ثلاث نظريات لدراسة هذه العلاقة وأظهرت كلّها أنّ التمثيلات تندخل في السيرورات التي تُشكّل الهويّة وذلك حسب ثلاثة طُرق:

الأولى لإضفاء علامة مُميّزة للهوية، الثانية لتعديل آليات الهوية حتى يتسنى تبرير وتوقع نوعية العلاقات والسلوكات المناسبة أثناء التفاعل مع المجموعات الأخرى، الثالثة لإستعمالها كأداة لتأكيد هوية المجموعة العضوية الاجتماعية (l'identité endogroupe ويتحدّث الباحثون اليوم عن تمثلات الهوية (représentations identitaires) إذ يعرفها Deschamps و Moliner (2008) كمجموعة من "المعارف والمعلومات التي يمتلكها الأفراد عن أنفسهم وعن أعضاء المجموعة التي لا ينتمون إليها والذين هم في تفاعلٍ معهم" (...)" تتحكم هذه التمثلات في عمليات المقارنة والتشابه والفروق (opérations de comparaisons, de similitudes et de différenciations) التي هي عمليات ذهنية أساسية تحقق الشعور بالانتماء للمجتمع ذو هوية ممتنة وإيجابية.

تتكوّن إذا تمثلات الهوية من تمثلات بين المجموعات (التي تصنعها كل مجموعة عن المجموعة الأخرى) (représentations intergroupes) وهي تنفرع إلى صنفين من التمثلات:

- تمثلات المجموعة الداخلية (représentations endogroupes)

- وتمثلات المجموعة الخارجية (représentations exogroupes)،

تتشكل الأولى من المعارف والمعلومات والمواقف التي تملكها المجموعة عن نفسها. عندما تكون هوية المجموعة ممدّدة، تميل هذه التمثلات إلى التجانس والتشابه لزيادة وحدة وتماسك (Moliner، 2003) أفراد المجموعة مع بعضهم البعض بينما تشكل تمثلات المجموعة الخارجية "من الأحكام الصادرة عن مجموعة ما تجاه مجموعة أخرى، حسب طبيعة العلاقة بين المجموعتين (Deschamps، 1973، ص.115). هنا تعتبر الصور النمطية (stéréotype) من أهم العناصر المركزية التي يُقرّها بالإجماع أفراد مجموعة داخلية في تمثّلهم لمجموعة خارجية.

يشير شريف وآخرون (1961) إلى أن دلالات (connotation) التمثلات بين المجموعات (représentations intergroupes) تعتمد على طبيعة العلاقات التي تربط أفراد المجموعات، إذ تعبّر الدلالة الإيجابية (connotation positive) على علاقة تعاونية بينما تدلّ الدلالة السلبية (connotation négative) على علاقة تنافس

ومباراة. وأشار Avigdor (1953) إلى أن العلاقات بين المجموعات تُؤثر أيضا على الصفات التي تُنسبها المجموعات إلى بعضها البعض. رد أبريك (1994) على ضوء هذه النتائج قائلاً أن دور التمثيلات الاجتماعية مهم جدًا في عملية المقارنة وتكوين هوية اجتماعية إيجابية إذ أن " تمثل الفرد لجماعته العضوية الداخلية تجري دائما بعملية مغالاة لبعض من خصائص هذه العضوية (...) التي هدفها بالأساس تلبية الحاجة إلى تقدير الذات والحفاظ على صورة إيجابية للمجموعة العضوية (أبريك، 1994، ص. 16).

تعمل عمليات التمثيل جنبا إلى جنب مع عمليات ذهنية أخرى كعملية التصنيف الاجتماعي (catégorisation sociale)، إذ بينت أبحاث (Tajfel، 1971)، السايكو- سوسيولوجية التجريبية في مجال الهوية والعلاقات بين المجموعات، أن مجرد وعي الفرد بكونه عضوا في مجموعة ما يولد لديه نزوعا إيجابيا نحوها، فتتكون في ذهنه المجموعة الداخلية (l'endogroupe) أو ال (نحن) في مقابل المجموعة الخارجية (l'exogroupe) أو ال (هم) ويندرج هذا التصنيف في تنظيم الإدراكات والمعارف والاتجاهات التي تملكها حول مجموعتنا الداخلية والمجموعة الخارجية الأخرى وتقوم سريع ومقارنة متعدّدة المستويات بين أفراد المجموعة الداخلية وأفراد المجموعة. فالمجموعات التي ينتمي إليها الفرد (سواء كانت عائلة أو عشيرة أو طبقة اجتماعية أو حتى فرق رياضية) تكون مصادر مهمة للتفاخر والتباهي وتقدير الذات. يعطيه الانتماء إلى هذه المجموعات إحساسا بالهوية الاجتماعية وبالانتماء الإيجابي. وحتى نرفع من صورتنا الذاتية أو الشخصية (Self-Image) فنحن نرفع مستوى المجموعة التي ننتمي إليها.

على ضوء ذلك، استنتج ديشان ومولني (2008) أنه إذا كانت تمثيلات بين المجموعات هي نتاج عملية التصنيف الاجتماعي فإنّ الصور التمثيلية (stéréotypes) والنماذج (prototypes) هي نتائجها أيضا رغم أن الأولى أكثر إجماعا من الثانية (صفات يتفق عليها معظم أفراد المجموعة). مع العلم أن الصفات التمثيلية قد تخصّ أعضاء المجموعة الداخلية (التنميط الذاتي auto stéréotypie) أعضاء المجموعة الخارجية (التنميط الغيري hétéro-stéréotypie)، وتعمل هذه الصفات التمثيلية على تبسيط إدراك الفئة الاجتماعية باختزالها في سمات شخصية وسلوكية خاصة ببعض أفرادها ثم بعد ذلك تعميمها على الجميع كأن نقول مثلا أن الأنجليز بخلاء والإيطاليون فتانين هذه العمليات الذهنية السريعة تمكننا من فهم سلوكيات مجموعة ما (Synder و Uranowitz،

(1978؛ Hamilton و Rose، 1980).

أما إذا كانت الصور التمثيلية صادرة من مجموعة قوية غالبية تجاه مجموعة ضعيفة مغلوقة ويحصل استيظانها وخزنها من طرف أعضاء المجموعة الاجتماعية ضعيفة فإنها حتا تؤثر على تمثيلاتهم لأنفسهم ولجموعتهم العضوية الداخلية (representations endogroupes) ويتجلى ذلك من خلال الصور التمثيلية الفوقية (-méta stéréotypes) (Main، Vorauer، O'Connel، 1998)، أي الأحكام التي يصدرها الأفراد على المجموعة التي ينتمون إليها تحت تأثير ما قيل عنهم من طرف المجموعات الخارجية الأخرى تؤدي بهم إلى شتم أنفسهم واحتقار مجموعتهم العضوية والافتداء بمن أصدر عليهم النعوت السلبية. ذلك ما توصل إليه (Clark، 1947) في تجربة الدمى التي أجراها على أطفال أمريكيين بيض إذ اكتشف أن الأطفال السود، حين طُلب منهم اختيار الدمية الأجمل، البيضاء أم السوداء، فاخاروا البيضاء وعتوا الدمية السوداء بالقبح والدمامة لأنه لا أحد يحبها. يتبين إذن مدى خطورة الصور التمثيلية الفوقية والأحكام السلبية على هوية أطفال المجتمعات المغلوقة وتقديرهم لذواتهم.

الخاتمة

تلعب التمثيلات الاجتماعية دورا مهما في فهمنا للعالم الذي يحيط بنا وفي تحديد علاقاتنا مع بعضنا البعض، هدفها بالأساس الحفاظ على الصورة الإيجابية لصورتنا ولانتماءاتنا، مما يؤكد صلاحية هذه النظرية لدراسة الهوية وقدرتها الفائقة على تحديد أبعادها وبنيتها وفهم كل مظاهرها الديناميكية لأن الهوية هي آلية - معرفية - اجتماعية تكيفية تُفهم كما أوضحنا العديد من عمليات التمثل.

سنعمد في المقال الموالي إلى شرح كيفية دراسة البنية الداخلية للتمثيلات الاجتماعية دراسة تجريبية تحدد كفا وكيفا ما هو مشترك ومركزي وما هو محوري ومتغير.

المراجع

- Abric, C. (1989). L'étude expérimentale des représentations sociales, in Jodelet, D. (éd.), Les représentations sociales, Paris: Presse Universitaire de France, pp. 206-223.
- Abric, J.-C. (1994). Méthodologie de recueil des représentations sociales, in Abric, J.-C. (éd.) Pratiques sociales et représentations, Paris, Presse Universitaire de France, p. 59-82.
- Abric, J.-C. (1994). Pratiques sociales et représentations, Paris: Presse Universitaire de France.
- Abric, J.-C. (2003). Méthodes d'étude des représentations sociales, érès: Ramonville Saint-Agne.
- Deschamps, J.-C.; Moliner, P. (2008). L'identité en psychologie sociale. Des processus identitaires aux représentations sociales, Paris: Armand Colin.
- Doise W. (1989). Attitudes et représentations sociales. in Jodelet, D. (ed.), Les représentations sociales, Paris: Presse Universitaire de France, pp. 240-258.
- Doise W. Et Palmonari, A. (1986). L'étude des représentations sociales, Neuchâtel: Delachaux et Niestlé.
- Doise W.; Clémence, A.; Lorenzi-Cioldi, F. (1992). Représentations sociales et analyses des données, Paris: Presse Universitaire de France.
- Flament, C. (1989). Structure et dynamique des représentations sociales», in Jodelet, D. (éd.), Les représentations sociales, Paris: Presse Universitaire de France,

pp. 224-239.

- Flament, C.; Rouquette, M.-L. (2003). Anatomie des idées ordinaires. Comment étudier les représentations sociales, Paris: Armand Colin.
- Guimelli, C. (1999). La pensée sociale, Paris, Presses Universitaires de France.
- Guimelli, C.; Rimé, B. (2009). Emotions et représentations sociales», in Moliner, P.; Rateau, P. (dirs.). Représentations sociales et processus sociocognitifs, Rennes, Presses Universitaires de Rennes, Coll. «Didact Psychologie Sociale», pp. 165-180.
- Jodelet, D. (1989). Représentations sociales: un domaine en expansion», in Jodelet, D. (ed.), Les représentations sociales, Paris: Presse Universitaire de France, pp. 47-77.
- Mannoni, P. (1998). Les représentations sociales, Que sais-je, Paris: Presses Universitaires de France, p. 3.
- Moliner, P; Rateau, P. (2009). Introduction: Représentations sociales et processus sociocognitifs, in Moliner, P; Rateau, P. (dirs.). Représentations sociales et processus sociocognitifs, Rennes: presses Universitaires de Rennes, Coll. «Didact Psychologie Sociale», pp. 5-9.
- Moliner, P. (1992). La représentation sociale comme grille de lecture. Etude expérimentale de sa structure et aperçu sur ses processus de transformations, Publications université de Provence.
- Moliner, P.; Rateau, P. Cohen Scali, V. (2002). «Les

représentations sociales: Pratique des études de terrain», Rennes: Presses Universitaires de Rennes.

- Moliner, P.; Vidal, J. (2003). Stéréotypes de la catégorisation et noyau de la représentation sociale, *Revue international et psychologie sociale I*, pp. 157-176.
- Moscovici, S. (1961). *La psychanalyse, son image et son public*, Paris: Presse Universitaire de France, (2^e édition, 1976).
- Moscovici, S. (1986). L'ère des représentations sociales», in Doise, W. Palmonari, A. (dir.), *L'étude des représentations sociales*, Neuchâtel: Delachaux et Niestlé, pp. 34-80.
- Moscovici, S. (1989). Des représentations collectives aux représentations sociales», in Jodelet, D. (dir.), *Les représentations sociales*, Coll. «Sociologie d'Aujourd'hui», Paris: Presses Universitaires de France, pp. 79-103.
- Souissi, K. (2006). *Les représentations sociales des nouvelles technologies de l'information et de la communication*. Mémoire de Master en Psychologie Sociale, sous la direction du Professeur Maâouia Abdallah, Faculté des sciences humaines et sociales de Tunis.
- Souissi, K. (2013). *L'identité sociale des jeunes musulmans tunisiens et les stratégies identitaires de changement*. Thèse de doctorat en Psychologie Sociale, sous la direction de Pascal Moliner et Abdallah Maâouia, Université Paul-Valéry et Faculté des sciences humaines et sociales de Tunis.